المحاضرة السادسة :

الحكاية على لسان الحيوان (الخرافة/ fable)

تعد الحكاية على لسان الحيوان أو الخرافة نمطا ذائعا منتشرا عند كل شعوب العالم، وقد عرفتها كل الحضارات، وهي من أقدم أشكال القص أو الحكي ، والواقع ان هذا الجنس النثري لم يكن غريبا في التراث العربي ،إذ إن القدماء قدموا فيه أشهر نماذجه العالمية وهو كتاب (كليلة ودمنة) ،فما هي الحكاية على لسان الحيوان ؟ وكيف تطورت عبر مسارها التاريخي ؟ وماهي التفاصيل المتعلقة بتأليف كتاب (كليلة ودمنة)؟،هذا ما سنتعرف عليه في الأسطر الآتية :

أولا: الحكاية على لسان الحيوان :

1- تعريفها: نستطيع أن نجد لهذا الفن النثري تعريفات عدة أهمها :

- ✓ "هي قصص تؤلف على ألسنة الحيوانات ،وهي في الباطن ترمز إلى شخصيات من المجتمع الإنساني بهدف إيصال رسالات تحمل في مضمونها موعظة او مغزى اخلاقي من أجل إصلاح بعض العيوب في السلوك والأخلاق عند الإنسان ،ولا يصرح بالغرض مباشرة لظروف قاهرة قد تمنع الكاتب من إبداء رأيه مباشرة أين يلعب الحيوان دور البطل في الحكاية من حيث أن البطل الحقيقي المراد الإشارة إليه في الواقع هو الإنسان." .
- ✓ "هي قصة قصيرة تسرد حادثة تدور حول حياة الحيوانات وعلى ألسنتها ويمثل ثوبها الخارجي المموه واقعا إنسانيا"
- ✓ "هي قصة قصيرة تكتب على لسان الحيوان تهدف إلى مغزى أخلاقي ، أي أنها تعبر في مضمونها إل حقيقة عامة عن السلوك البشري".

وقد اعتبر الباحث محمد رجب النجار هذا النوع من الأدب من أقدم أنماط الأدب الشعبي القديم ، وما يميزها عن ياقي الأجناس الأدبية أن الحيوان هو الذي يلعب الدور الرئيسي فيها

ولتحقيق هذا النوع الأدبي لابد من تحقق الشروط اللازمة :

– حضور الحيوانات

– الطابع الخيالي

– الهدف التعليمي والأخلاقي الذي تصبو إليه .

2- نشأة القصص على لسان الحيوان :

إن الحكاية على لسان الحيوان ذات طابع أخلاقي وتعليمي في قالبها الأدبي الخاص بها ، وهي تنحو منحى الرمز في معناه اللغوي العام ، فالرمز يعني فيما يعنيه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات وحوادث ، في حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة ، بحيث يتتبع المرء في قراءتها صور الشخصيات الظاهرة التي تشف عن صور شخصيات أخرى تتراءى خلف هذه الشخصيات الظاهرة ، وغالبا ما تحكى على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد ،ولا يخفى على الباحثين في حكايات الحيوان أنها **تنشأ فطرية في أدب الشعب ، قبل ان ترتقي من الحالة الشعبية الفولكلورية إلى المكانة الأدبية الفنية**. وبالنسبة للقصص على لسان الحيوان فإن منشأها غير عربي كما يرى ابن النديم وكذلك المسعودي ،غير أنه بفعل التمازج الحضاري انتقل هذا الفن إلى العرب فهذبوه وأضافوا له ،فهي إذا **فنون دخيلة** تناقلها العرب عن الفرس والروم والهنود ،يقول ابن النديم في ذلك :" أول من صنف الخرافات وجعل لها كتبا وأودعها الخزائن، وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان الفرس الأول....ونقلته العرب إلى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه"

وعلى الرغم من كل ذلك ،إلا أن العرب " ظلوا المصدر الحقيقي والوحيد الذي نهل منه الغرب ذلك التراث ، بكل ما حمل بين طياته من عبقرية الخيال وجنون السحر "

ثانيا :قصص كليلة ودمنة :

ينتمي كتاب كليلة ودمنة إلى قصص الحيوان الرمزي،وهذا النوع من الحكايات ضرب من التمثيل الكنائي (الرمزي)، ذاع على يد ابن المقفع لمواجهة المسكوت عنه على كل الأصعدة . فهو يتضمن حكمة وعبرا وسياسة وأدبا ، وقصصا تملأ القارئ ‘إعجابا، فلا غرو أن يترجم هذا الكتاب إلى كل لغات العالم تقريبا . ولا بد من الإشارة إلى عبد الله بن المقفع قام بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية ، وقد ظلت ترجمة ابن المقفع العربية هي الأصل المعتمد لكل الترجمات الحالية : الفارسية –اليونانية – العبرية –التركية –اللاتينية –الاسبانية –الإيطالية –الألمانية –الانجليزية – الفرنسية ....

1- **سبب تأليفه :** كان من عادة ملوك الهند أن يكلفوا الأدباء بوضع الكتب لهم وتقديمها بأسمائهم ، حتى تكون عونا في خلود أسمائهم ، وعندما تولى الحكم دبشليم ملك الهند أصدر أوامره للفيلسوف بيدبا بوضع كتاب يخلد اسمه كعادة آبائه وأجداده ،فما كان من بيدبا إلا أن وضع كتاب " كليلة ودمنة ".

2- ترجمة الكتاب : الكتاب يعود إلى أصول هندية وقد كتب باللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) ، ثم انتقل الكتاب من أصله الهندي إلى الفهلوية (الفارسية القديمة) على يد الطبيب الفارسي (برزويه)، ثم العربية حين أقدم عبد الله بن المقفع بما له من علم واسع باللغتين العربية والفهلوية وقدرة على الترجمة على نقله (من الفهلوية) إلى العربية خلال العصر العباسي -133هـ- ، وصاغه بأسلوبه الأدبي متصرفا فيه، قال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : "إنّ ابن المقفَّع هو الذي وضع كتاب "كليلة ودمنة"، وقيل: إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعرّبه، ونقله إلى العربية ".

ولولا هذه الترجمة العربية لما بقي كتاب كليلة ودمنة، فقد ضاع الأصل السنسكريتي ، ولم تبق منه إلا أبواب متفرقة في كتب الأدب الهندي القديم ، كما ضاعت الترجمة الفهلوية ، فبقيت النسخة العربية أصلا لكل ما في اللغات الأخرى، ومن مظاهر التأثر بكتاب كليلة ودمنة ما قدمه الأديب الفرنسي جان دو لافونتين Jean de La Fontaine ، حيث ألف (القصص الخرافية) (fables) مستلهما ومستوحيا مضامينه من قصص كلية ودمنة.

3- مضمون الكتاب :

يعتبر الكتاب ذو غايات سياسية محضة، يتألف من خمسة عشر باباً رئيسياً تضم العديد من القصص التي أبطالها من الحيوانات ، ويتضمن الكتاب نصائح غير مباشرة في صورة قصص عن

الحيوانات ، يقدمها الحكيم بيدبا إلى الملك دبشليم المستبد القاسي ، الذي يثور على النصيحة أولا ، ثم يستجيب لها ثانيا ، ومن أبرز شخصيات الحيوانات التي يتضمّنها الكتاب، الأسد الذي يلعب دور الملك، وخادمه الثور الذي يُدعى «شتربه»، بالإضافة إلى اثنين من ابن آوى وهما كليلة ودمنة .

،ويعج عالم الحيوان في الكتاب بمجالس الحكم ،وأصوات النفاق ، وعواقب الظلم ، وصورا للمكر والدهاء ،تماما كما هو عالم الإنسان ، وما يوجه من نقد أو تعليق لأحدهما ينسحب على الآخر .

4- بنية القصص في الكتاب :

تقوم عملية نسج القصص وتواليها في متن الكتاب على النحو الآتي :

أ- تبدأ القصة بالتساؤل والاستفهام عن أصل المثل الذي وردت فيه الحكاية بعبارة :وكيف كان ذلك ؟

ب- ثم تتصدر الإجابة عن السؤال عبارة : زعموا أنه كان .....، (يسترسل السارد في القصة وحيثياتها).

ج- ترد داخل المتن ظاهرة (تداخل الحكايات)، فكل حكاية رئيسية تحوي حكاية فرعية أو حكايات ، ويتبع ذلك دخول شخصيات جديدة أو حيوانات جديدة في الحكاية دون انقطاع .

د- قد يتناسى الكاتب الرموز (الحيوانات) التي جعلها رموزا للناس في سلوكياتهم ، فيسهب في الحديث عن المرموز إليهم من الناس مؤثرا التصريح بهم ، متغافلا عن شخصياته الرمزية .

5- أهمية الكتاب : اعتُبِر عمل ابن المقفع من أفضل أعمال النثر في الأدب العربي وبحسب البعض فإنه يعتبر أول تحفة أدبية عربية نثرية،وقد تميّزت النسخة العربية بأهمية كبيرة كونها الوحيدة التي بقيت محفوظة بخلاف النسختين الهندية والفارسية اللتين فقدتا، ومنها انتشرت إلى الأدب العالمي.

رسم من نسخة عربية كتاب كليلة ودمنة يرجع إلى سنة 1220م يصور كلا من كليلة ودمنة وهما اسمان أطلقا على اثنين من بنات آوى .(المصدر https://ar.wikipedia.org/)

مراجع المحاضرة :

محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، دار العودة ، ودار الثقافة ، بيروت ،ط9، 1981.

-جبران مسعود : الرائد ، دار العلم للملايين ، 2005، ط3.

- **JEAN GERODET** : Dictiomaire de la langue francaise ;Bordas ; 1er edition ; 1995.

شرف الدين ماجدولين : بيان شهرزاد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، 2001.

عبد الله بن المقفع: كليلة ودمنة، تحقيق عبد الوهاب عزام وطه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2014..

- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل ،دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ابن النديم: الفهرست .

-**ياسمين فيدوح** : فن الترجمة بين النقل والإبداع، صفحات للدراسات والنشر،دمشق، ط1، 2012..